فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "كيف تتلذذ بعبادتك؟"

كيف تتلذذ بقيام الليل؟

لفضيلة الشيخ: مشاري الخراز

رابط المادة: http://www.way2allah.com/khotab-item-76391.htm

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

كما أن كل حبيبٍ يتجمل للقاء حبيبه، فإن الله سبحانه يجمل أحبابه أهل قيام الليل إذا وقفوا بين يديه.

هل تريد أن ينير وجهك؟

ألم تعلم أن أهل قيام الليل هم أحسن الناس وجوهًا، قال تعالى "سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ" الفتح:٢٩، يقول بعض المفسرين: "الصلاة تحسن وجوههم"، قيام الليل عبارة عن جمال تجمل به نفسك، يقول ابن القيم في كتابه روضة المحبين: "العبد إذا رزق حظًا من صلاة الليل، فإنها تنوِّر الوجه وتحسنه حتى أن بعض النساء كانت تكثر من صلاة الليل، فسُئلت عن ذلك فقالت: إنها تحسن الوجه وأنا أحب أن يحسن وجهي".

طبعًا نحن لا نقوم الليل فقط لكي نجمِّل وجوهنا!، لكن في الحقيقة هذا هو ما يحدث، الصلاة تجمل الوجه لدرجة أنّ الناس يقذف في قلوبهم محبة هذه الوجوه الحسنة التي لبست ذلك النور.

يقول سعيد بن المسيب: "إنّ الرجل ليصلي بالليل فيجعل الله في وجهه نورًا يحبه عليه كل مسلم، فيراه من لم يره من قبل فيقول: إني لأحب هذا الرجل".

وكان الناس إذا رأوا محمد بن سيرين سبحوا من نور وجهه، يقولون سبحان الله سبحان الله وكان صاحب قيام ليل، وسُئل الحسن البصري لِما كان المتهجدون أحسن الناس وجوهًا قال: "لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورًا من نوره". الله أكبر.

وفي تفسير قوله تعالى "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ" عبس:٣٨، يقول ابن عباس: "مسفرة من قيام الليل"، مسفرة ضاحكة مستبشرة، كان الناس إذا رأوا النور الذي يعلو وجه وكيع بن الجراح –رحمه الله– قالوا حاشا لله ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملكٌ كريم، أما أعظم هؤلاء نورًا وأكثرهم حسنًا وبهاءً فهو رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–، فإن وجهه كان يتلألأ كأنه مذهَّبًا، وإذا تبسم استنار وجهه كأنّ الشمس تجري في وجهه –صلوات ربي وسلامه عليه–، هذه سعادة الوجه ونور الوجه لكن هل لقيام الليل سعادة في القلب ونور في القلب، لا تأخذ بكلامي جرب أنت بنفسك..

خذ ما رأيت ودع شيئًا سمعت به في طلعة البدر ما يغنيك عن زحلِ.

ما أجملها من لذة

والله أنت إذا خلوت بالرحمن ليلًا فقمت بين يديه تصلي سقاك الله تعالى سعادة عجيبة لا يدركها غيرك، لكن لا تتوقع أن تذوقها من أول ليلة ولا من ثاني ليلة، لابد من الصبر أولًا ثم بعد ذلك تأتي اللذة، نعم قد يتفضل الله عليك من أول ليلة لكن الأصل أنك لابد أن تصبر، كان ثابت البناني يقول: "كابدت نفسي على قيام الليل عشرين

سنة، ثم تلذذت به عشرين سنة".

فإذا مرت مرحلة الصبر وصلت إلى تلك الراحة فأبشر بكل خير، يقول أحدهم بعد أن ذاق طعم قيام الليل: "والله لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لطلبوه منَّا ولو بالسيوف"، إي والله يقول سفيان الثوري: "إني لأفرح بالليل إذا جاء"، وكان أبو سليمان يقول: "أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في هذه الدنيا"، طبعًا، هل ترى أن يساوي الله تعالى بين هؤلاء الذين يقومون الليل، وبين الذين يسهرون على سماع المحرمات ومشاهدة المنكرات وشرب المسكرات!، مستحيل.

أي الفريقين تريد؟

ألا تلاحظون أنّ الإنسان إذا بات على معصية، استيقظ من نومه موحش الصدر يحس بملل اكتئاب مع أنّه كان يضحك طوال الليل، سبحان الله في العشر الأواخر من رمضان يبكي الناس في القيام وفي الدعاء ومع هذا إذا استيقظوا يحسون بانشراح في صدورهم، السؤال هو: كيف هذا الشخص يضحك طوال الليل ثم يتعب نفسيًا، والآخر كان يبكي طوال الليل ثم يستيقظ مرتاحًا منشرح الصدر؟

إنها معجزة الله تعالى، والله الذي لا إله إلا هو لو جمعت لذة أهل اللهو في لهوهم وأهل السهرات المحرمة جميعًا، لما ساوت ركعة واحدة من ركعات الخاشعين بالليل، داود الطائي –رحمه الله– كانت جارته تقول عنه: كان داود يقوم أغلب الليل، وربما أثناء الليل أسمعه يقرأ ويجود بشيء من القرآن، تقول جارته فأحس أن سعادة الدنيا كلها جمعت في صدري في تلك اللحظة، الله أكبر.

يا له من فضل!

بل أعجب من ذلك أن بعض الذين يقومون بالليل، يتعامل الله معه بشيء لا تدركه عقول بشر، انتبه معي إلى هذا الحديث العظيم، قال رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– "ثلاثةٌ يُحبُّهُم اللهُ، ويضحَكُ إليهِم، ويستبشِرُ بِهم، وذكر منهم والَّذي لهُ امرأةٌ حسَنةٌ وفراشٌ ليِّنٌ حسنٌ، فيقومُ من اللَّيلِ، فيقولُ الله تعالى: يَذرُ شهوتَه ويذكُرُني، ولَو شاءَ رقدَ" حسنه الألباني، لا إله إلا الله، وما الذي تريده أخي الكريم بعد أن ضحك الله إليك؟ قد يقول قائل: وماذا سيحدث ليَّ إذا ضحك الله ليَّ؟ سبحان الله، أما مر عليك الحديث الصحيح : "إنّ الله تعالى إذا ضحك إلى عبده المؤمن فلاحساب عليه" صححه الألباني.

نسأل الله من خيره وفضله، سأل رجل النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– "يا رسولَ اللهِ أوَيضحكُ الربُّ؟ قال: نعم، قلتُ لن نعدِمَ من ربٍّ يضحَكُ خيرًا" حسنه الألباني

من يجيب النداء؟

وفي أثناء الليل إذا أتت تلك اللحظة الحاسمة العظيمة فبدأ الثلث الأخير من الليل بدأ وقت السحر، حدث في الكون أمر عظيم، ماذا حدث؟ نزل الله تعالى، نعم ينزل جلّ شأنه وعظم سلطانه ثم ينادي سبحانه، فمن سينادي؟ لا شك أنّه سينادي أصحابنا الذي نتكلم عنهم أهل الركوع وأهل السجود في جوف الليل، وأنتم تعلمون طبعًا ماذا

سيقول لهم، سيقول: هل من داعٍ فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه، والعباد كلهم نيام، لا يردون على ربهم الذي يناديهم إلا هذا المصلي في وسط الليل يجيب ربه بلسان حاله، عندما يسجد فيقول اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، اللهم اعتقني من النار، الله تعالى يقول: هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه، وهو يقول اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، فما أحلى هذا السؤال الذي يسأله الله تعالى في السماء، وما أحلى هذا الجواب الذي يردده العبد طوال الليل، حوار عجيب، قلت للّيل هل بجوفك سر عامر بالحديث والأسرار، قال لن الق في حياتي مثل حديث الأحباب في الأسحار.

قال النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– "إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ" صحيح مسلم.

هنيئًا لكم يا أهل قيام الليل

ذكر ابن رجب في كتابه شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، عن أبي سليمان أنّه قال: "إذا جنّ الليل وخلا كل حبيب بحبيبه وافترش أهل المحبة أقدامهم للصلاة، وجرت دموعهم على خدودهم، أشرف الجليل جلّ جلاله فنادى يا جبريل بعيني من تلذذ بكلامي واستروح إلى مناجاتي، نادى فيهم يا جبريل ما هذا البكاء، هل رأيتم حبيبًا يعذب أحبائه؟ أم كيف يجمل بي أن أعذب قومًا إذا جنّهم الليل تملكوني؟ يقول تعالى: فبي حلفت فبي حلفت إذا قدموا عليّ يوم القيامة لأكشفنّ لهم عن وجهي، ينظرون إليّ وأنظر إليهم"، يا الله، هنيئًا لكم يا أهل قيام الليل، والله هنيئًا لكم، أخي الكريم أختي الكريمة أرجوكم فلنتذوق أحلى ما في الليل، أحلى ما فيه الوقوف بين يدي الرحمن الرحيم العظيم الحليم.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36